

التحقيب التاريخي

شغلت عملية التحقيب التاريخي بال مؤرخين المحترفين، هذه العملية التي عرفت تقسيمات مختلفة تتماشى مع الأحداث الكبرى، وكذلك الظواهر الاجتماعية والاقتصادية، وأيضا الظواهر التي تغلب على أنساق الحياة الاجتماعية.

❖ التحقيب بالأحداث الكبرى

قسم الزمن الطويل إلى محطات على شاكلة التقسيم الخماسي الغربي للتاريخ، المعروف بالتقسيم الأوربي للحقب، أو التقسيم الإسلامي الذي قسم الزمن إلى حقبة الجاهلية والإسلام، وداخل هذه الفترة هناك أحداث أخرى يتم تقسيم الزمن على ضوءها، مثل الهجرة، الغزوات، وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، مقتل عثمان...إلخ.

- فترة ما قبل ظهور الكتابة: تعود بداية هذه الفترة إلى ظهور الخليقة، وتنتهي مع بداية الكتابة أي حوالي 3500 قبل الميلاد، لا تتوفر حولها مصادر مكتوبة، ولا توجد معالم مهمة من التراث المادي يمكن كتابة التاريخ على ضوءها من خلال استقرار هذا التراث الذي خلفه أجدادنا القدامى. فالتاريخ لا يمكن حصره في ما هو مكتوب من نصوص ونقائش على الحجر ورسومات وتراث مادي بارز المعالم، كل هذا يضيف شيئا من التعظيم على بقية المصادر وعلى بعض الفئات الاجتماعية، لأن التاريخ من صنع الجميع، يساهم فيه الحاكم والمحكوم والغني والفقير والعالم والجاهل...

لم تعرف الفترة ما قبل التاريخ الكتابة، لكن هذه الفترة لها تاريخ، لدراسته توظف آليات اشتغال ومناهج خاصة كالاعتماد على التحاليل المخبرية للعظام والجماجم التي يتم العثور عليها، وذلك باستعمال تقنية الكربون 14 والإشعاع الحراري، التي تخلص إلى نتائج يمكن من خلالها معرفة قامة الإنسان ونوع التغذية والعلاقات التي كانت تسود في الفترة القديمة.

ساهم تطور مناهج البحث في إعادة مراجعة مسألة التحقيب التاريخي، خاصة على مستوى التحقيب المدرسي الذي فتح الباب أمام الناشئة للتعرف على خط الزمن.

- الفترة القديمة: تبدأ الفترة القديمة مع ظهور الكتابة، التي برزت خلالها الحضارات القديمة التي اعتمدت الكتابة، وعرفت كذلك ظهور التشريعات السماوية والوضعية، وانتهت هذه الفترة بعد زحف القبائل الجرمانية التي انطلقت من مناطق مختلفة على مستوى البحر الأبيض المتوسط ومن البلاد الاسكندنافية، فاستطاعت الاستحواذ على مساحات كبرى من النفوذ الترابي للرومان بعد المواجهات العسكرية المسلحة، فيما مساحات أخرى أخضعها سلميا، وصارت الإمبراطورية على هذا الحال إلى أن تفككت سنة 476م، هذا الحدث الكبير الذي يعد نهاية الفترة القديمة.

- **الفترة الوسيطة:** تم حصر الفترة الوسيطة ما بين سني 476م و 1453م هذه السنة التي وقع اختلاف على تحديدها، لأنه هناك من المؤرخين من يقول بأن هذه الفترة تمتد إلى حدود سنة 1492م، واعتبرت هذه الفترة بداية القطيعة مع العصر القديم سياسيا وثقافيا واقتصاديا، وفترة تحول بعد بداية هيمنة الكنيسة على الحياة الاجتماعية والسياسية خلال القرن التاسع الميلادي، ولم يشمل هذا التحول الغرب بمفرده بل امتد إلى كل الجهات التي كانت تحت سيطرة الرومان ومن بينها بلاد المغرب التي سادت فيها القوانين الإسلامية بدل القوانين الرومانية، وحل المسجد مكان الساحة العامة.

- **الفترة الحديثة:** حددت الفترة الحديثة ما بين سنتي 1492م و 1789م خلالها نهضت الحضارة الغربية، وقد أطلق عليها هذا الاسم بسبب انتشار الطباعة والفكر، علاوة على الاهتمام الذي قام به رجال الكنيسة للإنسان، وقد عرفت نفس الفترة التحرر الفكري والعقلاني.

- **الفترة المعاصرة:** تبدأ الفترة المعاصرة من سنة 1789م إلى حدود نهاية القرن العشرين الميلادي، سادت خلالها الثورة الصناعية الثانية التي ظهرت مع اختراع محرك الاحتراق الداخلي سنة 1900م، وقد تميزت بالتوسع الاستعماري الذي نتج عنه ظهور حركات التحرر.

- **التاريخ الآني أو الراهن:** يسمى التاريخ الآني أو الراهن بتاريخ الزمن الحاضر، من خلاله يمكن استشراف المستقبل، لكن كل ما يمكن استنتاجه خلال هذه الفترة يبقى قابلا للنقاش إلى حين ظهور الوثائق المتعلقة بها والتي تظهر بعد برودة الأحداث وغياب الفاعلين فيها.

❖ التحقيب بالظواهر

- **المشاع البدائي:** يتميز المشاع البدائي بالصراع بين الإنسان والطبيعة، ومشاعية وسائل الإنتاج، فهي ملك مشاع بين عامة الناس، في خضم هذا الصراع هدف الإنسان إلى الانتصار على بعض أجزاء الطبيعة، وفرض سلطة القوي على الضعيف، التي آلت في الأخير إلى استعباد الإنسان للإنسان، مما ساعد على ظهور نمط الإنتاج العبودي.

- **النمط العبودي:** أصبحت حيازة الأرض والتجمع في عشائر وجماعات هي العنصر السائد بدل الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج، فتطلب هذا التحول الحاجة إلى من يعمل، فأخضع القوي الضعيف لسلطة، وبدأ ينظر إليه نظرة حيوانية، بل ضمه إلى وسائل الإنتاج، نتجت عن هذه الأفعال ثورات قام بها العبيد في المجتمعات الرومانية والبيزنطية والإسلامية والأوربية، مما مهد الطريق إلى بروز مرحلة النظام الفيودالي.

- **نمط الإنتاج الفيودالي:** يعتمد النمط الفيودالي على مستوى العلاقة بين مالك الأرض والتابع، بعد أن كان العبد وسيلة إنتاج مشيئة، أصبح مرتبطا بالأرض وهو وسيلة إنتاج، لكن له حقوق لم تكن واردة

عند العبد، مما يجعل وضعيته أقل حدة، فالتابع يتمتع بالحياة العائلية، ولا يمكن بيعه بمفرده مثل العبد، بل يباع مع الأرض. وبعد ازدهار النشاطين الحرفي والتجاري بالمدن أصبحت في حاجة ماسة إلى اليد العاملة، مما شجع الأقدان على التخلص من التبعية للأرض والتوجه إليها، كل هذه العوامل ساهمت في تطور الاقتصاد الرأسمالي.

- **نمط الإنتاج الرأسمالي:** يعد النمط الرأسمالي مرحلة من مراحل التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي، وهو نظام تحتكر فيه فئة قليلة وسائل الإنتاج، وتستغل العمال المأجورين لتنمية رأس المال الخاص. ويرى ماركس أن الصراع بين أصحاب وسائل الإنتاج والعمل سيؤدي حتما إلى انقلاب الأوضاع وفرض نمط الإنتاج الاشتراكي.

- **نمط الإنتاج الاشتراكي:** تكون في النمط الاشتراكي وسائل الإنتاج ملكا مشتركا بين كافة الناس، يأخذ الجميع من الإنتاج ما يكفي حاجياتهم، تحت شعار "كل حسب طاقته ولكل حسب حاجته"، ويرى ماركس أن هذا النمط ليس سوى بداية تطور، تتوج بالشيوعية أو بنمط الإنتاج الشيوعي. يرى غلاة الماركسية أنه لا بد لكل الشعوب أن تمر من هذه الأنماط الإنتاجية التي تعتبر محطات أساسية أو قوانين تاريخية.

أفرز هذا التقسيم التاريخي أشكالا أخرى من التحقيب.

- **نمط الإنتاج الآسيوي:** يعتمد نمط الإنتاج الآسيوي بالأساس على الرعي، ويغيب فيه التملك الفردي، فالأرض ملك للدولة، ومن يعمل عليها من فلاحين فهم عبيد للدولة. - **نمط الإنتاج الإتاوي أو الجبائي أو الخراجي أو الضرائبي:** يعتمد هذا النمط من الإنتاج على تطوير منظومة سهلة لجمع الضرائب دون الاهتمام بالجانب الاقتصادي المحلي.

يتبين من خلال ما سبق ذكره أن عملية التحقيب تخضع إلى تطوير مستمر وزحزحة متواصلة، نتيجة البحوث المتواصلة وتعدد المناهج والمدارس، فالتاريخ لم يتوقف وتطوره يواكب الزمن.